القيم ومظاهر تغيرها لدى المراهقين (الصراع بين الوافد والموروث)

د. سميرة ميسون
أ. فطيمة الزهرة الأشراف
جامعة ورقلة/ الجزائر

ملخص:

تهدف هذه المداخلة إلى توضيح مفهوم القيم وأهميتها في حياة الأفراد والمجتمعات ومنها نتطرق إلى بعض مظاهر تغير القيم لدى فئة المراهقين وأبرز العوامل المؤثرة فيه، وذلك انطلاقا مما عرفته البشرية من تغيرات مست مختلف قطاعات الحياة، ولعل من أهم مسبباتها ما أفرزته ثورة المعلومات أو ما يسمى بالعولمة من تطور تقني هائل أدى إلى بروز العديد من التحولات والتغيرات التي طرأت على المجتمعات عموما ولا سيما المجتمع الجزائري منها، وهو ما نتج عنه ظهور تحول في القيم التي تشكل شخصية الفرد بل وتوجه سلوكاته، خاصة وأن القيم تمثل إطارا مرجعيا تتمحور حوله أفكار الفرد وتصرفاته هذا إلى جانب بروز مشكلات اجتماعية وأنماط سلوكية مستحدثة لدى الأفراد وخاصة منهم فئة المراهقين، بالإضافة إلى ذلك التفاوت الطبقي بين هؤلاء الأفراد وهو ما ساهم في حدوث صراع قيمي بين الوافد والموروث وبين القديم والمعاصر.

وقد أصبح هذا التنازع ملحوظا لدى فئة المراهقين باعتبارهم أكثر شرائح المجتمع تقبلا لهذا التغيير في القيم مما انعكس على سلوكاتهم، خاصة مع ما يتميزون به من خصائص نفسية، اجتماعية أو ثقافية...إلخ.

الكلمات المفتاحية: القيم، مظاهر تغير القيم، الوافد، الموروث.

Abstract:

this intervention aimes is to clarify the concept of "values" and its significance for people. Then, we touch on some aspects of changing values for adolescents and its main affecting factors. Starting from the humanity changes in all life sectors, the main reason for this change is globalization which leads to the appearance of many transformations for all societies and particularly the Algerian one. It resulted in transforming the values that form the individual's personality and even his attitude. In addition to this, it raises social problems and new-fashioned behaviors especially for adolescents, as well as the class gap among individuals which leads to a conflict in values between new coming and heritage and between ancient and modern.

This quarrel is observable among the adolescents group because it accepts this change widely, which is reflected in their behaviors especially their psychological, social and cultural characteristics.

Key words: values, changing values aspects, new coming and heritage values.

تمهيد:

لقد نال موضوع القيم اهتمام العديد من العلماء والمفكرين منذ البدايات الأولى للفكر الإنساني وحتى يومنا هذا؛ حيث يرى فتحي مبارك (1992) "أن القيم وجدت مع الإنسان منذ بدء الخليقة، وعملت كإطار محدد لسلوكه ولتنظيم علاقاته مع الآخرين"[1]، كما تلعب القيم أيضا دورا هاما في حياة الأفراد والمجتمعات، حيث تذكر إيمان النقيب أن القيم تعتبر الحجر الأساس في البناء الثقافي للمجتمع، كما تسهم في تحقيق التوازن الاجتماعي والنفسي داخل إطار هذا المجتمع وبين أفراده" [2].

هذا وتعد القيم بمثابة عملية اكتساب حيث يتعلمها الفرد تدريجيا خلال عملية التنشئة الاجتماعية، فهو في بداية حياته لا يظهر لديه أي قيم، ثم فيما بعد يلقن تلك القيم السائدة داخل جماعته من خلال التفاعل معها، ومن ثم التأثير في سلوكه، حيث توجهه إلى ما هو مرغوب فيه بعيدا عما هو مرغوب عنه، وتؤثر في الأحكام والأفعال الصادرة عنه، وذلك عن طريق إمداد الفرد بإطار مرجعي لإدراك وتنظيم الخبرة والاختيار بين بدائل الفعل.

1.**تعريف القيم:** تعتبر القيم من المفاهيم التي يشوبها نوع من الغموض والخلط في استخدامها، وهذا نتيجة لأنها حظيت باهتمام كثير من الباحثين في تخصصات مختلفة، وهو ما نتج عنه اختلاف في التعاريف التي وضعت لها، وفيما يلي سيتم التطرق إلى بعض منها:

- عرفها (نيوكمب) Newcomb و(مرفي) Murphy بأنها عبارة عن استعدادات يحتفظ بها الإنسان فتهيؤه للقيام بنشاطات معينة، بغية تحقيق أهداف معينة"[3].

- وقد عرفها المعجم الفلسفي بأنها:"أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية يتشربها الفرد ويحكم بها، وتحدد مجالات تفكيره وسلوكه وتؤثر في تعلمه، فالصدق والأمانة والشجاعة والانتماء للوطن وتحمل المسؤولية كلها قيم يكتسبها الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه وتختلف القيم باختلاف المجتمعات بل حتى الجماعات الصغيرة"[4].

- أما المعجم التربوي فيعرف القيمة بأنها: "القواعد والمعايير الخاصة بكل جماعة للحكم على أفعال الأفراد فيها، وخروج هؤلاء الأفراد يعد انحرافا عن قيم هذه الجماعة".

ويضيف إلى ذلك (بري وثورندايك) Parry et Thorndike وفوزية دياب أن القيم "هي اهتمام أو اختيار وتفضيل أو حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه، والذي يحدد المرغوب فيه من السلوك"[5].

من خلال ما سبق ذكره من تعريفات، نلاحظ أن مفهوم القيمة قد تم تناوله من زوايا مختلفة، ففي الوقت الذي نظر فيه(نيوكمب ومرفي) للقيم على أنها بمثابة استعدادات نجد أن المعجم الفلسفي رأى بأنها عبارة عن أحكام تكتسب من المجتمع الذي يعيش فيه الفرد في حين عبر عنها المعجم التربوي بأنها معايير لإصدار حكم على ما هو مرغوب فيه من قبل المجتمع أو مرغوب عنه، كما عبر عنها آخرون بأنها اهتمامات أو تفضيلات لما نميل إليه أو نختاره وهو ما جاء به (بري وثورندايك) وفوزية دياب وغيرها.

ومنه نخلص إلى أن القيم عبارة عن مقاييس ومعايير وأحكام تحدد سلوك الفرد لما هو مرغوب فيه، وذلك وفق القواعد والمبادئ التي يحددها المجتمع الذي ينتمي إليه بقوانينه ونظمه. وعليه نستطيع القول أن القيم تؤثر في السلوك؛ أي سلوكات الأفراد في جميع المجالات والميادين الحياتية؛ فمثلا إذا أراد شخص تسود عنده القيمة الاقتصادية المادية العمل فإنه يحاول الحصول على منصب يوفر له أكبر ربح ممكن، وهذا ما يجعلنا ننظر إلى القيم بأنها يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند دراسة وتفسير سلوك الإنسان بصفة عامة باعتبار أنها أحد المحددات الهامة في السلوك.

2. أهمية القيم: تحتل القيم منزلة رفيعة في الكثير من نواحي وجوانب سلوكياتنا اليومية، ونظرا لما يعتري مفهوم القيم من أهمية فإنه يمكن تصنيف الميادين التي يكون للقيم فيها أهمية خاصة كما يلي:

1.2 **الحياة العامة:** فالقيم تعد جزء لا يستهان به ضمن الإطار المرجعي للسلوك في الحياة العامة[6]، بالإضافة إلى ذلك ما يكون للقيم من أهمية في تربية الناشئة مثل احترام الرأي العام المتعلق بالمسائل الجنسية، وتمثل المعايير الدينية، المعايير الاجتماعية والشخصية وتقليد الأشخاص المثاليين والتعفف المناسب بدلا من الخجل، واحترام الذكورة والأنوثة...إلخ، لذا فالمهمة الأساسية هي جعل القيم أكثر ليونة ونضجا وانطباقا مع الواقع والحياة.

2.2**التوجيه التربوي والمهني:** ويبدو ذلك بصفة خاصة في انتقاء الأفراد الصالحين لبعض المهن مثل رجال الدين ورجال السياسة والأخصائيين النفسانيين والأخصائيين الاجتماعيين وغيرهم، وفي تعليم الناس القيم الصالحة.[7]

إذ تعتبر المهنة أو التخصص الذي يختاره الفرد، إذا كان ذلك الاختيار صحيحا، كمرآة تعكس لنا قيم الفرد التي يؤمن بها، لأن الإنسان يميل إلى القيمة ويحاول إشباعها.لذا فإنه بالإمكان الاستفادة من القيم في توجيه الطلبة نحو الدراسات التي تتفق مع قيمهم.

3.2. **مجال التربية:** يمكن اعتبار القيم الأساس في تشكيل حياة المجتمع وحراسة الأنظمة، وحماية البناء الاجتماعي من التدهور والانهيار وتمثل الحلقة الوسطى التي ترتبط بين العقيدة والنظم الاجتماعية والسياسية[8]. كما أنها تمثل مصدرا رئيسيا ودائم الحركة الإنسانية. لذلك أصبحت دراسة القيم التربوية في ضوء هذه الأهمية واحدة من الضرورات اللازمة للتربية، ومن ثم ينبغي على كافة مؤسسات ووسائط التربية غرسها في نفوس أفراد المجتمع صغارا وكبارا.

4.2. **مجال الصحة النفسية:** إن علماء الصحة النفسية لا يهملون في دراساتهم قيم المجتمع وأخلاقه وظروفه الاجتماعية والسياسية والثقافية؛ لذا فإن أي عملية تهدف إلى تعديل السلوك ينبغي أن تضع في الاعتبار جميع جوانب شخصية الفرد بما فيها القيم.

5.2. **مجال الإرشاد والعلاج النفسي:** إن لدراسة القيم في هذا المجال أهمية خاصة حيث تعتبر من أهم خصائص شخصية العميل. كما تفيد في لفت نظر العاملين في الإرشاد والعلاج النفسي والتربية إلى ضرورة تقبل الفروق الفردية في القيم بين الثقافات الفرعية المتباينة.

ولا يخفى على أي فرد الدور الذي تلعبه القيم في التوافق النفسي والاجتماعي إلى جانب دورها في عمليات العلاج النفسي فمن المعروف علميا أن تصارع القيم عند الكثيرين من شأنه أن يؤدي إلى اضطرابات سلوكية لديهم. كما أن الأفراد ينتمون إلى والدين مختلفين في الدين أو في الطبقة الاجتماعية، أو القيم التي يتمثلونها يكونون أكثر عرضة من غيرهم للاضطرابات النفسية؛ وهذا ما يستدعي العلاج النفسي لمثل هؤلاء الأفراد[9]. ويرى **(بوهلر)** أنه لا يمكن الحديث عن العلاج النفسي دون الوقوف على قيم المريض وأهدافه الحياتية، ولقد وضع تصورا لأهمية القيم في هذا المجال. كما أكد **(كارل يونغ)** في أبحاثه النفسية ضرورة غرس الإيمان لدى المريض النفسي حتى يتم شفاؤه، كما أوضح أن الشخص يصبح مريضا نفسيا حين يضل الطريق عن الجوانب الدينية والروحية، وأن المريض النفسي لا يتسنى له الشفاء إلا حينما يسترد نظرته للحياة الدينية، حيث توفر القيم الدينية الأمن والأمان بالنسبة للفرد[10].

3. تغير القيم والعوامل المؤثرة فيه: شهدت المجتمعات العربية خلال السنوات الأخيرة مجموعة من التغيرات السريعة والمتلاحقة في العديد من الجوانب الثقافية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية، عجز الإنسان عن التصدي لها والتلاؤم معها مما جعل من الصعب التحكم فيها أو التنبؤ بآثارها السلبية المتوقعة، مما أثر على طمس معاني الحياة الإنسانية واضطراب منظومة القيم الموجهة لسلوكات الأفراد. ويشعر الفرد– وخاصة المراهق– في المجتمع النامي بأنه يعيش في عالم لا يستجيب لرغباته واحتياجاته، كما أنه غير قادر على التنبؤ بالمستقبل، بالإضافة إلى تغير المعايير التي تنظم سلوكه بسرعة متزايدة، كما يتسم أيضا برفضه للقيم الخاصة بحضارته، وبالانعزال عن الآخرين وعن ذاته.

وتكتسب ظاهرة التغير في القيم وما أحدثته من آثار على العلاقات الاجتماعية والإنسانية طابعا أكثر أهمية حين تكون فئة المراهقين والشباب هي الفئة الأكثر عرضة لمثل هذه التغيرات خاصة مع ما تعرفه هذه المرحلة التي يعيشونها من حساسية فهي"مرحلة انتقالية مهمة نحو البحث عن الهوية وتحقيق الذات، نحو اكتشاف القيم، حيث ينزع المراهق إلى التخلص من طفولته وعالمه والسير نحو النضج فيتجلى لديه حب المناقشة والجدل والتوجه نحو ارتياد المجهول"[11] خاصة وأن الطلاب والتلاميذ يشكلون أقوى عوامل التغير الثقافي والاجتماعي لما يحملونه من رؤى وتصورات تخالف في بعض جوانبها تلك الرؤى والتصورات التي لدى الأجيال السابقة [12].

1.3. **مظاهر التغير في القيم:** يبدو جليا أن العصر الذي نعيشه اليوم أصبح من أهم صفاته أن الإنتاج فيه غزير المعارف والمعلومات، كما أصبح إنتاج الأفكار فيه ينافس إنتاج السلع والخدمات، حيث أنه يعتمد أساسا على الكمبيوتر والانترنت، هذه التقنية التي أزالت الحواجز والحدود بين دول العالم، وسهلت الاتصال بين الأفراد أكثر من السابق، وهذا ما جعل من الفصل بين المجتمعات والأفراد أمرا شبه مستحيل، خاصة مع طغيان الأنظمة العالمية الجديدة. وهو ما وقف عليه شريفي ناشي الجابري(2002) في دراسته عن التحولات الاجتماعية الاقتصادية وتأثيراتها في بعض القيم الاجتماعية بالمجتمع السعودي بينت نتائجها أن هناك انحدارا في بعض القيم السلبية مثل قيم المظهرية والأنانية والتواكل وعدم تقبل الآخرين[13].

ومن مظاهر التغير في نسق قيم المراهقين والشباب نجد:

1.1.3. **التخلي عن بعض القيم الايجابية وظهور قيم واتجاهات سلبية جديدة:** أوضح(ريتشر) Rescher في نظريته للقيم أن اكتساب الفرد لقيمه يمر بعدة عمليات، حيث يتبنى الفرد قيما

معينة، ثم يعيد توزيع هذه القيمة في منظومة القيم وإعطائها وزنا معينا، ثم اتساع نطاق عمل هذه القيمة داخل النسق القيمي، ثم ارتفاع معايير هذه القيمة في ظل وجود أهداف معينة وما تحققه من فائدة لمتبنيها. أما اختفاء القيمة أو التخلي عنها فيأخذ أشكالا معاكسة لذلك تماما[14]، وهذا ما يدل على أن تغير القيم يتم وفق عمليتين متلازمتين اختفاء بعض القيم ونمو وظهورقيم أخرى.وبما أن فترة المراهقة تعد من أهم الفترات التي تصاحبها تغيرات كثيرة في قيم المراهقين، فإنها تظهر عندهم قيم جديدة لتحل محل القيم التي اختفت.

وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى ما جاء سعيد إسماعيل علي حيث يرى ضرورة تركيز المؤسسات التربوية المختلفة سواء نظامية أو غير نظامية على تلك الأوضاع الثلاثة المكونة للهوية وهي: العقيدة الدينية والموروث الثقافي واللغة العربية[15]. ويقصد بهذا أن تحرص كل مؤسسة اجتماعية على تأصيل القيم الايجابية لدى التلاميذ والطلبة (مراهقين) خلال عملية التنشئة الاجتماعية خاصة مع ما أثبتته العديد من الدراسات النفسية والاجتماعية كدراسة محمود عبد الفضيل (1988) ودراسة رجائي محمود شريف (1988) ودراسة يحي اليحفوفي ومحمد فاعور(1999) وكذلك دراسة عبد اللطيف خليفة (2005) حيث خلصت في مجملها إلى أن عملية التغير في القيم شاملة لكافة فئات المجتمع وقطاعاته وإن كان المراهقون هم أكثر عرضة لهذه العملية، بالإضافة إلى ما يشوب منظومة قيمهم من اضطراب، حيث أوضحت هذه الدراسات اختفاء بعض القيم الأصلية وبروز قيم سلبية عوضا عنها وقد أثر هذا الوضع بدوره في عملية التنشئة الاجتماعية لهم، ويضيف إلى ذلك مصطفى حجازي بقوله:"ثمة ظاهرة جديدة في مجال المال والأعمال تتمثل بتزايد عدد الشباب، من أصحاب الملايين الذين جنوها من انجازاتهم في تقنية المعلومات أو من انخراطهم في أنشطة أسواق المال؛ بينما كانت الثروة سابقا لا تتحقق إلا بعد سنوات طويلة من الجهد لمن استطاع إليها سبيلا، وظاهرة جديدة أن نجد العديد ممن هم في أوائل العشرينات من العمر يتجنبون الوظيفة المستقرة كي ينطلقوا في تأسيس الأعمال الخاصة بهم مع ما فيها من مخاطرة وفرص[16].

3-1-2 المفارقة بين القيم والسلوك الفعلي: لقد تناول بعض الباحثين القيم في ضوء ربطها بسلوك الفرد وتصرفاته (أفعاله) وذلك باعتبارها كمعيار محدد وموجه لهذا السلوك، بحيث تحدد توجهات الفرد نحو الفعل؛ وهي إما أن تكون واضحة بمعنى أنها تصدر على الإنسان بشكل لفظي صريح وقد تكون كامنة فتظهر من خلال سلوك الفرد وأفعاله.

وقد كان للتغير في مفاهيم وقيم بعض المراهقين والشباب العرب واضطراب منظومة القيم لديهم أثر في حدوث تنافر معرفي بين اتجاهاتهم وقيمهم من ناحية وبين سلوكاتهم من ناحية أخرى، ويعد هذا ما كشفت عنه العديد من الدراسات بما فيها العربية حيث توصلت دراسة عبد اللطيف خليفة إلى أن التعبير اللفظي من قبل المبحوثين أعلن عن شيوع قيم معينة رغم وجود أشكال من السلوك المخالف لهذه القيم، أي أن هناك نوع من التناقض بين الاتجاهات والسلوك، فالقول شيء والسلوك شيء آخر مختلف عنه تماما[17]. فمن خلال نتائج هذه الدراسة ودراسات أخرى تبين وجود تناقض بين القيم والسلوك فما يقوله الأفراد شيء وما يسلكونه شيء آخر يختلف عنه كلية. ولعل هذا ما جعل من قيم الصدق والحق والأمانة والإيثار والإخلاص وإتقان العمل والتضحية قيم متوفرة في الكتب فقط أو أنها تقتصر على المستوى اللفظي لا الممارسة والفعل. فأصبح الفرد يفكر فقط في خلاصه هو بغض النظر عن نتائج تلك التصرفات على الآخرين حتى وان استدعى ذلك لجوءه إلى سبل غير أخلاقية أو غير مشروعة.

3-1-3 الصراع القيمي بين الأجيال: يعتبر صراع القيم ظاهرة اجتماعية ذات وظائف قد تكون ايجابية وقد تكون سلبية، وتنحصر وظيفتها الايجابية في إعادة التوازن البنائي، أما وظيفتها السلبية فتنحصر في إحداث خلل في التنظيم الاجتماعي وظهور المشكلات الاجتماعية[18].

كما يعرف الباحثون صراع القيم بأنه عبارة عن تضاد بين اتجاهين أساسيين من اتجاهات القيم، ومن أبرز مظاهر هذا التضاد ما يحدث بين القيم المنبثقة من التنظيم الاجتماعي، وتلك التي ترتبط بمثل إنسانية أشبه ما تكون مثالية[19].

وينشأ صراع القيم عندما يوجد إلحاح من طرف جهات مختلفة – خاصة منها وسائل الإعلام والاتصال– على قيم معينة تتعارض مع القيم التي يعتنقها الفرد، كما يظهر أيضا هذا النوع من الصراع في حالة ما إذا فوجئ الفرد بمن يدعوا إلى قيم معينة ولكن ممارسته تعمل بما يناقض ذلك. وفي سياق موضوع الصراع القيمي يتجلى بوضوح هذا الصراع بين الأبناء والآباء، حيث كشفت نتائج دراسات متعددة على أن هناك فروقا كبيرة بين نوعية القيم التي يتبناها الشباب وتلك التي يحتضنها الأسلاف، وهذا الاختلاف في الأجيال غالبا ما يكون صادر عن تصور كل جيل للآخر، فالشباب ينظرون إلى الكبار على أنهم أكثر انغلاقا وغير متقبلين لكل ما هو جديد، فهم يصفونهم بالجمود والتصلب، أما الكبار فينظرون إلى الجيل الجديد بأنه غير جدي، وغير ملتزم بالقيم والمبادئ الأخلاقية وأنهم متخلون عن هويتهم الذاتية وذلك بمجرد تخليهم عن القيم التقليدية.

وبالإضافة إلى تلك المفارقة بين الأجيال تبدو بحدة فكرة اختلال القدوة والنموذج في نظر الشباب الحالي، وهذا ما تبين من نتائج دراسة عبد اللطيف خليفة (1999)- في شق منها – أن أغلب الشباب من عينة الدراسة يعتبرون النموذج القدوة في حياتهم هو لاعب كرة أو فنان مشهور، ويعكس هذا مدى الاختيار المفضل للنموذج الملائم في حياة الطلاب.

ومن جهة أخرى نلاحظ أن أغلب الشباب أصبح يعيش حالة تناقض لا مثيل لها، وهذا جراء ما يظهر عنده من صراع بين قيمه وقيم المجتمع الذي يعيش فيه؛ فتغلب عليه القيم المادية والسلبية واللامبالاة، وضعف الموجهات السلوكية والفكرية، وعدم الجدية وأخذ كل شيء ببساطة وعدم تقدير قيمة الوقت وأهميته، وعدم الرغبة في الاطلاع والاكتفاء بالقليل إذا كنا بصدد تحصيل العلم أو القيام ببحث علمي، وعدم احترام الكبار وتقديرهم وعدم الصدق وعدم الأمانة في التعامل، والتبعية في سلوكياته وأفكاره وأفعاله لكل ما هو مستورد أو غربي.[20]

وتكاد الأدوار تنقلب بشكل متزايد وفي العديد من مناحي حياة العمل والترويح كما في التفضيلات والأذواق والسلوكات، ففي العديد من مناحي الحياة والنشاط أصبح الشباب هم مرجعية الكبار.[21]، سواء أكانوا يمثلون مرجعيتهم في المعرفة أم في الخيارات التعليمية أو المهنية المستقبلية. فالشباب الحالي لم يعد يبحث عن التوجيه المستقبلي لدى الآباء والمعلمين وذلك لأنهم يجدون كل ما يحتاجون إليه بل وأكثر على مواقع وفضاءات شبكة الانترنت من خلال ما تتوفر عليه هذه الأخيرة من معلومات ومستجدات في العديد من النشاطات المهنية وكافة التخصصات حتى وإن كانوا لا يعرفونها سابقا. من هنا فإن شباب ومراهقي اليوم لا يتقيدون كثيرا بنهج أسلافهم (الوالدين) بل إنهم يطمحون إلى بناء نهج خاص بهم، منطلقين لتحقيق نجاحات متسارعة...

2.3. **العوامل المؤثرة في تغير القيم:** بعد أن تم الكشف عن مظاهر اضطراب منظومة القيم وبعض الجوانب المتأثرة بالمتغيرات العامة والخاصة بالتلاميذ والطلاب، أصبح من الضروري الوقوف على العوامل المسؤولة عن حدوث هذا الاضطراب، وإحداث تغير في القيم ويمكن تقسيمها إلى قسمين: عوامل عامة وعوامل خاصة.

1.2.3. **العوامل العامة:**

وتتركز أساسا في المتغيرات العالمية السريعة التي مست مختلف مجالات الحياة: الثقافية والاجتماعية والاقتصادية...الخ أو ما يسمى بعصر الاتصالات وما ترتب عنه من آثار، ومن بين هذه العوامل نذكر:

• **العامل الإعلامي:** يعد من أهم العوامل المؤثرة على الجوانب الاجتماعية والثقافية والفكرية حيث أصبحت وسائل الإعلام والاتصال بتدفق معلوماتها في تقاطع مع كافة النشاطات التي يمارسها الإنسان،فصار كل طرف في العالم يتأثر بما يحدث في الطرف الآخر منه. وتتمثل مظاهر التأثير هذه فيما يلي:

– **الفضائيات:** إن التلفزيون كان ولا يزال من أعظم الانجازات المساهمة في مخاطبة الفكر والعقل الإنساني من خلال مؤثرات الصوت والصورة، فهو يمثل نافذة مفتوحة على كافة المجريات في العالم.

وقد تزداد خطورة هذا العامل وأثره نتيجة الانتشار الهائل في الأطباق القادرة على التقاط محطات خارجية دون أن تتمكن أية رقابة وطنية من وضع حدود أو حواجز عليها وقد ظهر أن أثره لم يبق محدودا بل تعاظم بتعداد القنوات وتدفق البرامج الإعلامية التي يتعرض لها الأفراد يوميا دون رقيب... فأدى هذا التركيز الإعلامي إلى قولبة فكرية في الحياة مما يخشى أن تنال من مكانة الخصائص الذاتية للثقافة المحلية، وخصوصا عندما تمس بالخصائص الثقافية للمتلقي ذاته.

وقد أشارت بعض الدراسات إلى أثر استقبال وسائل الإعلام هذه على العوامل القيمية للمتلقي كان من بينها دراسة بدرية العوادي حيث أظهرت نتائجها وجود علاقة بين استقبال البث المباشر والعوامل القيمية مجتمعة لدى طالبات المرحلة الثانوية بمدينة الرياض حيث دلت النتائج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطالبات المستقبلات للبث المباشر وغير المستقبلات للبث مما يعني أنهن أكثر التزاما بهذه القيم[22].

والمستخلص من هذه الدراسات وغيرها أن التلفزيون وعالم الفضائيات قد أصبح المسيطر والموجه لحياة الأفراد (كبارا وصغارا)، ومعلوم أن ذلك سيكون على حساب التفاعل الاجتماعي وعلاقات الأفراد ببعضهم ومع الأهل وكذا على حساب مطالعة التلاميذ ومراجعتهم لدروسهم.

– **العامل التقني:** يتعلق العامل التقني بأجهزة الحواسيب والتقنيات الالكترونية والمعلوماتية، فهذا العامل بمختلف مضامينه لا يمكن أن نجهله خاصة ونحن نرى انتشار هذه التقنية في مختلف جوانب الحياة، ويمكن حصر أهم المظاهر المصاحبة لهذا العامل كالآتي:

– الانتشار الواسع للخدمات التي تقدمها تقنية الانترنت نتيجة لسرعتها وسهولة استخدامها ووفرة المعلومات التي يتم الحصول عليها.

– تأثر المستخدمين الدائمين لهذه التقنية بنوافذ التواصل وتكوين العلاقات الاجتماعية الالكترونية فنجدها قد غيرت من شكل تعامل وسلوك الأفراد حتى داخل الأسرة الواحدة.

– كان لفيضها المعلوماتي الضخم أثر على موقف الشباب تجاه بعض القيم التي كان المجتمع يعتبرها من التقاليد الأصيلة.

– تخلو الانترنت من الرقابة المفروضة على وسائل الإعلام والاتصال الأخرى إذ نجد لها خصوصية تميزها عن الوسائل الأخرى على أساس أن المستخدم للانترنت يستخدم جهاز حاسب آلي وحيد لا يشاركه أحد غيره بالإضافة إلى كلمة السر المتعلقة به، وهذا يفسح المجال لعدم قدرة الأسرة على مراقبة ما يطلع عليه الأبناء، فحتى ولو منع هؤلاء الأبناء أو الأفراد عموما من خلال حجب بعض المواقع السيئة عنهم فإن المواد الممنوعة قد تصلهم عبر نافذة البريد الالكتروني أو منافذ التواصل الاجتماعي(الفايسبوك).

وفي هذا السياق نجد دراسة صالح محمد العمري 1999 حول: "انتشار واستخدام تقنيات الاتصالات الشخصية الحديثة وأثرها في القيم الاجتماعية في المجتمع السعودي"، التي توصلت نتائجها إلى ما يلي:

– إقبال مجتمع الدراسة– جيل الشباب من طلاب وطالبات جامعة الملك سعود بالرياض– من الجنسين على استخدام تقنيات الاتصالات الشخصية الحديثة المتوفرة في المجتمع السعودي.

– هناك تأثير في بعض المعايير التي تحدد سلوك الأفراد في المواقف الاجتماعية المختلفة وانعكس هذا على القيم الاجتماعية المتعلقة بالعلاقات الشخصية والأسرية والعمل والوقت.

– يرى أفراد العينة أن تقنيات الاتصال فتحت مجالات وآفاقا جديدة للمرأة السعودية للعمل كالأعمال المصرفية في البنوك والأرشيف والنسخ إضافة إلى المجالات السابقة في التعليم والطب التي يتطلب العمل بها عدم الخروج عن العرف والقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع العربي السعودي.

– يظهر أثر انتشار واستخدام تقنيات الاتصالات الشخصية في بعض القيم الاجتماعية لأفراد مجتمع البحث من خلال التغير في المعايير والمفاهيم التي يتبناها الأفراد لتحقيق حاجاتهم الأساسية فتأثر ترتيب القيم الاجتماعية محل الدراسة بمتغير الجنس (ذكور وإناث) كعامل مع انتشار واستخدام تقنيات الاتصالات الشخصية الحديثة في معايير القيم الاجتماعية والمفاهيم التي

يتبناها جيل الشباب من أفراد المجتمع للعلاقات الشخصية والأسرية الأخرى؛ نظرا لوجود سمات ثقافية خاصة بالمجتمع[23].

2.2.3. العوامل الخاصة: وتتمثل فيما يلي: المستويين الاقتصادي والاجتماعي، مستوى تعليم الفرد، تخصصه الدراسي، الجنس(ذكور وإناث) وكذلك عمر الفرد.

• **المستويان الاقتصادي والاجتماعي:** تتباين القيم التي يسعى الآباء لغرسها في أبنائهم كل حسب الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، ففي دراسة Pearlin and Kahen(1966) حول أثر المهنة والطبقة الاجتماعية والقيم الوالدية في قيم الأبناء لدى قوميات مختلفة، تبين أن القيم الاجتماعية والأخلاقية وأساليب التنشئة تختلف اختلافا كبيرا جدا باختلاف القومية أو الأمة. وهذا ما يؤكد أثر المناخ الثقافي العام للمجتمع في تشكيل قيم أفراده. كما تبين أن التباين القيمي يعود في جزء كبير منه إلى التباين الطبقي والاقتصادي والاجتماعي كما تحدده المهنة التي تؤهل صاحبها للاندراج في طبقة اقتصادية- اجتماعية معينة بغض النظر عن قومية هذا الفرد أو جنسيته، وقد أشارت النتائج أيضا إلى أن تباين قيم

الأبناء يتأثر بمهن الوالدين وطبقاتهم الاجتماعية أكثر من تأثره بمستوياتهم التعليمية [24].

فإلى جانب تأثر قيم الأبناء بمهن الآباء نجد أن تباين المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي والثقافي يؤدي بدوره إلى تباين قيم الأفراد في المجتمع، فالمنتمي إلى مستوى اقتصادي أو اجتماعي معين تظهر عليه قيم أفراد ذلك المستوى بغض النظر عن قوميته أو جنسيته.

• **المستوى التعليمي والتخصص الدراسي:** دلت بعض الدراسات على وجود اختلاف في القيم يرجع إلى مستوى التعليم بالنسبة لكل فرد بمعنى أن التغير في قيم الطلبة والطالبات أو التلاميذ قد يرتبط بالتقدم في مراحل التعليم المختلفة.

ومن بين الدراسات التي بحثت في هذا الجانب نجد الدراسة العرضية التي أجراها جابر والشيخ عام 1978 عن تغير القيم لدى عينات تمثل ثلاثة مستويات عمرية وهي: السنة الثالثة من التعليم المتوسط والسنة الثالثة من التعليم الثانوي والسنة الرابعة من التعليم الجامعي، وكان من نتائجها أن كشفت عن وجود تغير في القيم من مرحلة عمرية لأخرى، وأن طلبة الجامعة هم أكثر اهتماما بالقيم الجديدة أو العصرية كالصداقة مثلا أما تلاميذ الثانوية فإنهم قد أبدوا أغلب اهتمامهم بالقيم التقليدية كالاستقلال والأخلاق والنجاح في العمل، لكن معظم التغير في القيم يحدث في نهاية المرحلة الثانوية وبداية التعليم الجامعي[25].

نستنتج من الدراسة السابقة أن مستوى التعليم الذي يتلقاه الفرد (تلميذ، طالب) له أثره على تغير قيمه.وبالإضافة إلى مستوى التعليم فقد لوحظ أيضا وجود علاقة بين القيم والتخصص الدراسي، فالدارسون في الهندسة مثلا يبدون اهتماما كبيرا بالقيم النظرية والاقتصادية والسياسية، في حين يهتم رجال الأعمال بالقيم الاقتصادية والسياسية نظرا لأنهم يسعون دائما إلى الكسب وحب السيطرة.

ومن بين الدراسات التي تطرقت لدراسة هذه العلاقة نجد دراسة (هانتلي) Huntley التي أجريت على عينة من طلاب الجامعة تم تتبعهم لمدة أربع سنوات، إذ كشفت عن وجود تغير في البناء القيمي عبر هذه المرحلة الزمنية، فطلاب الدراسات الإنسانية تزايدت لديهم أهمية القيم النظرية والاقتصادية والاجتماعية والدينية. أما طلاب التخصصات العلمية فتزايدت لديهم أهمية القيم الجمالية والنظرية وقلت أهمية القيم الدينية والاجتماعية والاقتصادية [26].

فأهم ما يلاحظ من خلال نتائج هذه الدراسة وجود تغير في قيم الطلبة على مستوى كل تخصص دراسي كما كشفت نتائجها عن تزايد أهمية القيم النظرية، الاقتصادية، الاجتماعية والدينية بالنسبة لنفس لطلاب التخصصات الإنسانية،في حين تزايدت أهمية القيم الجمالية والنظرية لدى طلاب التخصصات العلمية.

مما سبق شرحه يتبين أن التخصص الدراسي له أثره الواضح على القيم، فكلما كانت القيمة مرتبطة بموضوع التخصص الدراسي أو نوع التعليم الذي يكتسبه الفرد كان أثرها بارزا وأن أثرها يضعف أو يتناقص كلما ابتعدت القيمة عن موضوع التخصص أو نوع التعليم الذي يتلقاه الفرد.

- **الجنس:** أوضحت العديد من الدراسات وجود اختلاف في تغير القيم وترتيبها السلمي لدى الإناث عنه لدى الذكور، فنجد أن القيم الاجتماعية والدينية والجمالية تنال أعلى الدرجات عند الإناث بينما تنخفض درجاتها عند الذكور في مقابل ارتفاع الاهتمام بالقيم الاقتصادية والنظرية لدى الطلاب.

وفي هذا المجال أيضا برزت دراسات كثيرة نذكر منها دراسة كل من (سوثرن وبلانت) Southern et Plant، التي تكشف عن وجود فروق بين الذكور والإناث في درجات القيم، وقد خلصت إلى تفوق الإناث على الذكور في القيمة الجمالية والاجتماعية، أما الذكور فقد غلبت اهتماماتهم بالقيم النظرية والاقتصادية والسياسية.

وبالإضافة إلى هذه الدراسة توجد أيضا دراسة رشاد عبد العزيز موسى في مصر 1993 "الفروق بين الجنسين في الترتيب القيمي"، فأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائيا لصالح الذكور في القيم التالية: النظرية، الاقتصادية والسياسية، ولصالح الإناث في القيمتين الآتيتين وهما: الجمالية والاجتماعية. وتتطابق نتائج هذه الدراسة مع ما توصل إليه (ساوثرن وبلانت) مع وجود اختلاف طفيف في ترتيب القيمتين الاقتصادية والسياسية بالنسبة للذكور.وعموما فإن ترتيب القيم بالنسبة للإناث كان كالتالي: القيمة الجمالية ثم القيمة الاجتماعية، أما عن الذكور فقد ترتبت قيمهم كالتالي: القيمة النظرية، الاقتصادية والسياسية.

وتشير نتائج الدراسة التي أجراها بشير معمرية "التغير في ارتقاء القيم لدى ثلاث مجموعات عمرية من الجنسين"، إلى تفوق الذكور في الفئات العمرية الثلاث (تلاميذ الثانوية، طلاب الجامعة، الكبار) في القيم الاقتصادية والجمالية والنظرية والسياسية. بالنسبة لتفوقهم في القيمة الاقتصادية (عينة تلاميذ الثانوي) مما يعني أن الذكور أكثر ميلا إلى الاستقلالية من الناحية المادية. كما تبين منها أيضا تفوق الإناث في القيمة الدينية (تلميذات التعليميين الثانوي والجامعي)، مما يدل على اهتمام الفتيات بالتعاليم الدينية أكثر، ونظرهم إلى الدين على أنه معيار الصواب والخطأ في الحياة، وتركزها في مرحلة المراهقة وبداية الشباب، إذ يشعر الفرد غالبا بالقلق واليأس مما يدفعه إلى احتكام أمر الدين. أما تفوقهن في القيمتين النظرية أو العلمية (الكبيرات في السن)، فيعكس ذلك انشغالهم بالقضايا العلمية والمعرفية، ومرد هذه النتيجة يعزى إلى أن معظم أفراد العينة ينتمين إلى مستويات تعليمية مرتفعة(جامعيات).

تؤكد أغلب الدراسات السابقة على أن تفوق الإناث على العموم يكون في القيم التالية: الاجتماعية، الدينية والجمالية، هذا حتى وان اختلفت الدراسات في ترتيبها من دراسة لأخرى. أما فيما يخص الذكور فإن القيم التالية: الاقتصادية، السياسية والنظرية هي التي نالت الدرجات الأولى واختلف ترتيبها كذلك من دراسة إلى أخرى.

وهذا ما جعل الباحثين يرجعونها غالبا إلى ظروف التنشئة الاجتماعية لكل جنس على حدا، إذ ينشأ الذكر على اعتبار أن له الدور الرئيسي في كسب الرزق والمال، وتوجهه نحو الانجاز والتفكير أكثر من الإناث.في حين تنشأ الإناث على تنمية المشاعر الوجدانية كالحب والسعادة الشخصية والفن والجمال...

لكن وما تجدر الإشارة إليه هو بداية التحرر من هذه الأفكار، فقد نجد ذكور لديهم اهتمام بالقيمة الجمالية، أو الدينية أو الاجتماعية مثل دراسة أبو النيل التي تزايدت فيها أهمية القيمة الاجتماعية بالنسبة للذكور. دراسة متولي والتي حازت فيها القيمتين: الدينية والاجتماعية على المراتب الأولى، وقد تساوى في ذلك الجنسين. بالإضافة إلى نتائج دراسة معمرية والتي أظهرت تفوق الكبيرات في السن(من الإناث) من عينة الدراسة في القيمة النظرية أو العلمية، مما أدى إلى اتساع النظرة أمام الجنسين عما كانت عليه قبل.

- **العمر**: يعتبر العمر من العوامل المؤثرة في القيم التي يتبناها الفرد، وهذا ما أثبتته دراسات عديدة ومتنوعة، كان من بينها دراسة جابر والشيخ عام 1978، ودراسة سهير أحمد كامل 1992"القيم السائدة والقيم المرغوبة لدى عينة من الآباء والأبناء" ودراسة (بنجستون) Bengeston 1975 "التغير في التوجهات القيمية عبر أجيال مختلفة " ودراسة معمرية "التغير في ارتقاء القيم لدى ثلاث مجموعات عمرية من الجنسين"، حيث أظهرت نتائج هذه الدراسة الأخيرة وجود فروق دالة إحصائيا بين المجموعات العمرية الثلاث (طلاب الثانوية، طلاب الجامعة، كبار السن) بالنسبة للذكور في القيم التالية: القيم النظرية، السياسية، الجمالية والدينية. وقد تفوقت عينة كبار السن في القيم: النظرية، السياسية والدينية. أما تلاميذ المرحلة الثانوية فقد تفوقوا في القيمة الجمالية. أما عن القيمتين الاجتماعية والاقتصادية فإن الفروق غير دالة فيها، مما يعني أن تفضيل الناس لهما لا يتغير بتغير العمر.وتتماشى هذه النتائج في جزء منها مع ما توصل إليه هانتلي 1965 وروكيتش 1973 وجابر 1978.

مما سبقت الإشارة إليه، يمكن القول أن الأفراد يتباينون في قيمهم وذلك كتحصيل لتباينهم في العديد من العوامل، كالسن والجنس والوضع الاقتصادي أو الاجتماعي أو التعليمي والطبقات التي ينتمون إليها والبيئات التي يعيشون داخلها، كما لا ننسى التغيرات المتتالية والمستجدات على جميع الأصعدة والأوضاع الحياتية، والتي تشغل الحيز الأكبر في جملة العوامل المؤثرة في تحول القيم.

قائمة المراجع:

1. سامي محمد ملحم: **سيكولوجية التعلم والتعليم (الأسس النظرية والتطبيقية)**، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع: عمان–الأردن، 2001، ص168.

2. إيمان العربي النقيب: **القيم التربوية في مسرح الطفل**، ط1، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية، 2002، ص14 .

3.محمد جمال يحياوي: **دراسات في علوم النفس**، ب ط، دار الغرب للنشر والتوزيع: الجزائر،2003، ص607.

4.عبد الرحمان بن عبد الله العفيصان: **أثر التحول في القيم الشخصية والأسرية على السلوك العنيف لدى مرتكبي جرائم العنف بمدينة الرياض**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية: الرياض، 2006، ص9.

5.حامد عبد السلام زهران: **علم النفس الاجتماعي**، ط 6، عالم الكتب: القاهرة، 2000، ص158.

6. محمد سمير عبد الفتاح وآخرون: **علم النفس الاجتماعي (أهداف– اتجاهات– انتماء)** المكتب الجامعي الحديث: مصر، 2004، ص339.

7.حامد عبد السلام زهران: **علم النفس الاجتماعي**، مرجع سبق ذكره، ص126.

8.إيمان العربي النقيب: **القيم التربوية في مسرح الطفل**، مرجع سبق ذكره، ص21.

9.أحمد محمد الزغبي: **أسس علم النفس الاجتماعي**، ط 1، دار الحكمة اليمانية: (؟)، 1994، ص161.

10. فؤاد حيدر: **علم النفس الاجتماعي(دراسات نظرية وتطبيقية)**، ط 1، دار الفكر العربي للطباعة والنشر: بيروت– لبنان، 1994، ص 111.

11. علي فالح الهنداوي: **علم نفس النمو الطفولة والمراهقة**، ط 2، دار الكتاب الجامعي ، العين، 2002، ص14.

12. عبد اللطيف محمد خليفة: **مظاهر التغير في نسق القيم وأسبابه لدى الشباب الجامعي في المجتمعات العربية العامة والمجتمع المصري خاصة**، مجلة دراسات عربية في علم النفس، م 4، ع 1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة، 2005، ص53.

13. عبد الرحمان بن عبد الله العفيصان: **أثر التحول في القيم الشخصية والأسري...**، مرجع سبق ذكره، ص111-112

14. عبد اللطيف محمد خليفة: **مظاهر التغير في نسق القيم وأسبابه**، مرجع سبق ذكره، ص58.

15. سعيد إسماعيل علي: **الاتجاهات العربية والعالمية المساندة للطفل العربي في ظل المتغيرات المعاصرة**، المؤتمر الإقليمي الأول، الطفل العرب يفي ظل المتغيرات المعاصرة، ط1، عالم الكتب نشر- توزيع- طباعة: القاهرة،2004، ص19.

16. مصطفى حجازي: **علم النفس والعولمة**، ط 1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر: بيروت- لبنان،2001، ص135.

17. عبد اللطيف محمد خليفة: **مظاهر التغير في نسق القيم وأسبابه**.مرجع سبق ذكره، ص67.

18. عبد الرؤوف الضبع: **علم الاجتماع العائلي**، دار وفاء لدنيا الطباعة والنشر: الإسكندرية، 2002، ص147 .

19. عبد اللطيف محمد خليفة: **مظاهر التغير في نسق القيم وأسبابه ...**، مرجع سبق ذكره،ص 70.

20. نفس المرجع السابق، ص 71.

21. مصطفى حجازي: **علم النفس والعولمة**، مرجع سبق ذكره، ص137.

22. محمد بن سليمان الرويشد وآخرون: **الطالب ومتغيرات العصر التشخيص والواقع**، ورقة عمل مقدمة إلى اللقاء 12 لقادة العمل التربوي بالعاصمة المقدسة، موقع منبر التربية، المملكة العربية السعودية ص5.

http/www.edc.gov.salirc/downoads.phpcatd ،2008/01/23

23. عبد الرحمان بن عبد الله العفيصان: **أثر التحول في القيم الشخصية والأسرية...**، مرجع سبق ذكره، ص113-114.

24. عبد المجيد نشواتي: **علم النفس التربوي**، ط2، دار الفرقان: الأردن، 1985، ص482.

25. بشير معمرية: **بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس**، ج1، منشورات الحبر: الجزائر،2007، ص57.

26. نفس المرجع السابق، ص58.